

'قوافل' المهاجرين في المكسيك والحرب على التّهریب

إِدْوَدُو تُوْرُه كَنْتَلِيْدِرَا

تُظْهَرُ مَعَامَلَةٌ قَوَافِلِ الْمُهَاجِرِينَ وَطَالِبِي اللّجُوءِ الْمَسَافِرِينَ عِبْرَ الْمَكْسِيكِ مَا أَوْقَعَتْهُ مَكَافِحَةُ تَهْرِيْبِ النَّاسِ مِنْ عَوَاقِبِ سَيِّئَةٍ عَلَى الْآخِذِينَ فِي هَذَا السَّفَرِ وَعَلَى الْمُدَافِعِينَ عَنْهُمْ.

تجريم القوافل والمدافعين عنها

وفي خلال النصف الأول من عام ٢٠١٩، صرّح ممثلون حكوميون بارزون بعدد من البلاغات، أشاروا فيها إلى أنّ بعض تنظيم القوافل، في الأقل، أجراه مُهْرَبُو النَّاسِ. ومن ذلك بلاغ صحفي، صدر عن وزارة المالية والاستثمار العام، يُعلِنُ أَنَّهُ جَمَدَ عِدَدًا مِنَ الْحَسَابَاتِ الْمَصْرِفِيَّةِ لعدة من الناس، لأنّ الحوالات التي جرت بها تدل على حَوْضِ أَصْحَابِهَا فِي أَعْمَالِ تَهْرِيْبِ النَّاسِ، وقال بحجّة لا تقوم على سابقين إن هؤلاء الناس أنفسهم خرّقوا القانون بالحث على هذه القوافل. فكان من هذا التصريح أن أُبْرِرَ شَأْنَ الرِّبْطِ بَيْنَ قَوَافِلِ الْمُهَاجِرِينَ وَطَالِبِي اللّجُوءِ والأعمال الخارقة للقانون.

وأيضاً، فقد جُرِّمَ المدافعون عن الحقوق الإنسانيّة للمهاجرين. ورأى عدّة من ممثلي الحكومة المكسيكيّة أن المناصرين الداعمين للقوافل خائضون في تهريب الناس، وخصّوا بالذّكر منظمة شعوب بلا حدود (Pueblos Sin Fronteras). ثم إنّ مُدَافِعِينَ مشهورين عن حقوق المهاجرين في المكسيك اعتُقِلَا بتهمة تهريب الناس، في خلال المفاوضات التي جرت بين المكسيك والولايات المتحدة في تنقل المهاجرين، وذلك لمناصرتهمما والتأثير الذي كان لهما وهما يُدَافِعَانِ عَنْ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ.

القوافل بديلة من القيوطة

ولكن خلافاً للرأي السيئ الذي تراه الحكومة في القيوطة (أي أعمال تهريب الناس بين المكسيك والولايات المتحدة، يأخذ بها ذئاب القيوطة، وذئاب القيوطة كناية عن المهريين)، يستعمل المهاجرون من المناطق ذات الأجور المنخفضة خدمات القيوطة خطّة للنجاة. وقد أثبتت معطيات من استطلاع رأي حول الهجرة في منطقة الحدود المكسيكيّة الجنوبيّة، أنّ استعمال القيوطة لم يزل خطّة شائعة جداً بين الهنودوراسيين والسلفادوريين والغواتيماليين، الذين يسافرون عبر المكسيك ليصلوا

وَصَلَتْ إِلَى الْمَكْسِيكِ عِدَّةٌ مِنْ 'قَوَافِلِ' الْمُهَاجِرِينَ وَطَالِبِي اللّجُوءِ، مِنْذِ أَوَاخِرِ سَنَةِ ٢٠١٨. تتجمّع جماعات الناس هذه، وتُسَافِرُ مَعًا، وَأَكْثَرُ النَّاسِ فِيهَا مِنْ هِنْدُورَاسِ، وَالسَّلْفَادُورِ، وَغَوَاتِمَالَا، قَصْدُهَا الْوَصُولَ إِلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ. وقد كان للقوافل الواصلة إلى المكسيك، على اختلاف هذه القوافل، مصائر مختلفة. فأما الذي وصل من القوافل في أواخر سنة ٢٠١٨، فقد استقبلتها السلطة المكسيكيّة ابتداءً بالتردّد في السماح لها بحريّة عبور البلد، غير أنها سمحت لها بذلك في آخر المطاف. وأما الذي وصل منها في أوائل سنة ٢٠١٩، فقد أُعْطُوا وَثَائِقَ مُؤَقَّتَةً يُسَمِّحُ لَهَا بِمُوجِبِهَا الْبَقَاءَ فِي الْبَلَدِ أَوْ الْإِنْتِقَالَ الْمَطْلُوقِ فِيهَا، مُلْدَةً عَامَ وَاحِدٍ. عَلَى أَنَّ مَا تَلَا ذَلِكَ مِنَ الْقَوَافِلِ فَقَدْ قَمَعَتْ قَمْعًا لَا يَبْنِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَافِلِ مَا اجْتَمَعَ ابْتِدَاءً فِي مَدِينَةِ تَابَاتشولا جنوبي المكسيك في أكتوبر/تشرين الأول سنة ٢٠١٩، وما ترك هندوراس في شعر يناير/كانون الثاني من سنة ٢٠٢٠.

وتُتَبَرِّقُ الطَّرِيقَةَ الَّتِي تَسْلُكُهَا الْحُكُومَةُ الْمَكْسِيكِيَّةُ فِي تَصْرِيْفِ أَمْرِ هَذِهِ الْقَوَافِلِ أَسْئَلَةً كَبْرَى عَنْ أَسْبَابِ تَأَلُّفِ هَذِهِ الْقَوَافِلِ وَأَسْبَابِ اسْتِجَابَةِ الدَّوْلَةِ لَهَا عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ. وصحيح أنّ هذا الضرب الجديد من ضروب التنقل هو في أكثره بديل من عبور الحدود والأقاليم والأراضي من طريق المهريين (الذي يعرفون في المكسيك باسم ذئاب القيوطة)، ولكن جزمت الحكومة المكسيكية بأنّ بين منظمي القوافل مهريي ناس، تجعل أعمالهم المسافرين في القافلة على خطر شديد. ويحتمل عقاب تهريب الناس في المكسيك السجّن لمدة تقع بين ثمانية سنين وست عشرة سنة، ويضاف إليها من التّغريم الشيء الكثير. وسعت الحكومة، بربط مقدّم القوافل بالحرب التي تشنّها على مهريي الناس، إلى إثبات شرعيّة ضبط القوافل وحصرها، وهي في الوقت نفسه تجرّم هذا الضرب من التنقل، وتجرّم المشاركين فيه، وتجرّم مناصريهم الذين يدعمون القوافل ويرافقونها.

النَّاسَ لِتُثَبِّتَ شَرْعِيَّةَ سِيَّاسَاتِ كَبْحِ الْهَجْرَةِ. ثَانِيًا: لَا تُجْرَمُ تَنْقَلُ الْمُهَاجِرِينَ وَاللَّاجِئِينَ (وهي في حَالَتِنَا هَذِهِ عَلَى هَيْئَةِ قَوَافِلٍ)، بِتَصَوُّرِ ارْتِبَاطِهِمْ بِتَهْرِيْبِ النَّاسِ. وَأَخِيرًا: لَا تُجْرَمُ الْمُدَافِعِينَ عَنِ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ (لَا بِخَطَابِهِمْ وَلَا بِسُنَنِ عَمَلِهِمْ)، وَإِنَّمَا هَيْئَةُ لَهُمْ أَنْ يَقُومُوا بِعَمَلِهِمُ الْإِنْسَانِي، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُنْهَكُهُمْ سُلْطَةُ أَوْ عَصَابَةُ إِجْرَامِيَّةٍ.

إِدُورْدُو تُوْرَهُ كَنْتَلَبِيْدْرَا etorre@colef.mx

باحث، في برنامج كَاتِدْرَسْ كُونَاثِيْتِ، بِكَلِيَّةِ فَرْتَبَهْرَا نُرْتَه

(Cátedras Conacyt-El Colegio de la Frontera Norte)

<http://investigadores.colef.mx/cvu>.

[asp?idinv=375438](http://investigadores.colef.mx/cvu.aspx?idinv=375438)

EMIF (2020) 'Encuestas sobre Migración en la Frontera .١
Sur de México, 2019'

(استطلاعات رأي حول الهجرة في الحدود الجنوبية للمكسيك)

www.colef.mx/emif/

Torre Cantalapedra E and Mariscal Nava D M (2020) 'Batallando con .٢
fronteras: estrategias migratorias en tránsito de participantes en caravanas
de migrantes',

(مُعَاْرَكَةُ الْهَجْرَةِ: خَطَطُ عُبُورِ الْمُهَاجِرِينَ الْمُنْمَضِّينَ إِلَى قَوَافِلِ الْهَجْرَةِ)

Estudios Fronterizos, Vol 21, 1-23 <https://doi.org/10.21670/ref.2005047>

إِلَى الْوَالِيَّاتِ الْمَتَّحِدَةِ.١ وَمَعَ ذَلِكَ، تُظْهَرُ الْمَعْطِيَّاتُ أَنْ مَنْ لَهُ مِنَ الْمَالِ الْكَافِي مِنَ الْهِنْدُوْرَاسِيِّينَ لِاسْتِعْمَالِ خِدْمَاتِ الْقِيُوطِيَّةِ عَدَدٌ قَلِيلٌ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْغَوَاتِمَالِيَّيْنَ وَالسَّلْفَادُورِيِّينَ. فَيَعْبُرُ الْهِنْدُوْرَاسِيُّونَ الْبَلَدَ عَلَى حِدَّتِهِمْ، فِي جَمَاعَاتٍ صَغِيرَةٍ أَوْ قَوَافِلِ صَغِيرَةٍ، وَيَسْتَعْمَلُونَ مَزِيْجًا مِنَ الْخَطَطِ الْمَخْتَلَفَةِ، تَجْعَلُهُمْ يَسْتَطِيعُونَ السَّفَرَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَلَّةِ الْمَالِ عِنْدَهُمْ أَوْ عَدَمِهِ. وَلَقَدْ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ السَّفَرُ مَشِيًّا أَوْ رِكْبًا عَلَى قَطْرِ الشَّحْنِ، مَعْتَمِدِينَ عَلَى شَبْكَةِ تَعَاَضُدِيَّةٍ مِنَ الْمَأْوِي، مُقَامَةً عَلَى طُرُقِ الْهَجْرَةِ، أَوْ مَعْتَمِدِينَ عَلَى الْأَخْذِ فِي أَعْمَالٍ مُوقَّتَةٍ فِي طَرِيقِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ الْقَوَافِلَ بَدِيلَةٌ مِمَّا عِنْدَ ذَنَابِ الْقِيُوطِ مِنْ خِدْمَاتٍ، فَهِيَ أَمْنٌ لِسَفَرِ الْمُهَاجِرِينَ، إِذْ يَجِدُونَ فِيهَا -لِعَظْمِ عِدَدِ الْمَسَافِرِينَ- الْحَمَايَةَ وَالْمَعْلُومَاتِ وَالْعَوْنَ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ حَالِهِمُ الْمَالِيَّةِ.٢

هَذَا وَيُمْكِنُ أَنْ يُرَى تَجْرِيْمَ الْمُهَاجِرِينَ وَطَالِبِي اللِّجْوِ وَالْمُدَافِعِينَ عَنْهُمْ، فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادٍ أُخْرَى، مِنْهَا الْوَالِيَّاتِ الْمَتَّحِدَةِ الْأَمْرِيْكِيَّةِ، وَإِسْبَانِيَا، وَالْمَغْرِبِ، وَدُونِكَ فِيمَا يَلِي مَا اسْتُلِّ مِنَ الدَّرُوسِ، لِتَسْتَفِيدَ مِنْهَا كُلُّ الدُّوَلِ: فَأَوْلًا: لَا تَسْتَعْمَلْ خَطَابَ مَكَافَحَةِ تَهْرِيْبِ